

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ  
ءَانَائِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١٣٠):

«فاصبر» - ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (١) والله ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾  
ويتقولون عليك وعلى رسالتك العظمى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ (٢)  
ولكي ينشرح صدرك عما أضاقوه فاتجه إلى ربك كما أنت وزيادة ﴿وَسَبِّحْ  
بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الذي ربك وليربيك أكثر مما أنت، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ في هدأة  
الصباح وهو يتنفس متفتحاً بالحياة، و﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ في هدأة ثانية عن زحمة  
النهار وسبحه الطويل، والكون يغمض أجفانه، والشمس تلبس أكفانها،  
كذلك ﴿وَمِنْ ءَانَائِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ قبل منتصفه فرضاً وبعده - ﴿نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ  
يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٣) - كذلك ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ بكرة وظهيرة وعشية  
﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بهذه المواصلة في التسبيح بالحمد، إزاحة عما يضيق بك،  
وإزاحة لخاطرك الخطير، وهذه الرضا ثمرة حاضرة للتسبيح تُطمئن القلب في  
حمى الرحمن.

هذه، وفي مكة ثانية ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ  
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (٣٩) وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ (٤).  
وفي الثالثة ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ  
السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكِرِينَ﴾ (٥).

أترى ما هي الملاءمة بين هذه الثلاث وفي الأولى ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾  
وأقلها ثلاثة، والثالثة ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ فأين هنا الظهرية وهي من الصلاة

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٤) سورة ق، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٥) سورة هود، الآية: ١١٤.

الوسطى، وهناك تذكر الفجر والعصر مرتين ثانيتهما في ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾<sup>(١)</sup> والظهيرة هي الطرف الأوسط تذكر فيها إشارة، ثم الثانية كما الثالثة تلغي الظهيرة؟

الأخيرتان تتجاوبان في الفجر والعصر وفي فريضة الليل كلاً أو بعضاً، وكأن ذلك كان قبل فرض الظهيرة، والأولى تلمح لها أنها من الفرائض اليومية ثم فرضت صراحاً في العهد المدني بتمام فريضة الليل وكأنها العشاء، فأطراف النهار أقلها ثلاثة أوسطها الظهيرة<sup>(١)</sup>، أم أنها تجمع بين الفرائض والنوافل اليومية، أم تعني الأعم من الصلاة كما الثانية، ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾<sup>(٢)</sup> قد تلمح أن التسبيح بالحمد فيها غير الصلاة.

وخصوص الخطاب فيها للرسول ﷺ قد يرجح الأخير، لا سيما وأن الصلاة لا يعبر عنها في الفصحى بغير صيغتها إلا أن يعنى أعم منها، فالأوسط هو الأوسط بين الاحتمالات الثلاث وأصدق مصاديق التسبيح بالحمد هو الصلاة.

ثم قد يتأكد أن طرفي النهار وقبل طلوع الشمس وقبل غروبها، هما الفجر والعصر وكما يروى عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup> ومن أطراف النهار التطوع بالنهار<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع تفسير الثانية في ج ٢٩ : ٢٩٧ - ٣٠٠ للحصول على بيان يشابه ما هنا باختلاف يسير.

(٢) الدر المنثور ٤ : ٣١٢ - أخرج الطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن جرير عن النبي ﷺ في الآية قال: قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر وفيه عن عمارة بن رومية سمعت رسول الله ﷺ يقول: لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

(٣) نور الثقلين ٣ : ٤٠٧ في الكافي عن زرارة عن أبي جعفر ﷺ قال قلت له: وأطراف النهار لعلك ترضى قال: يعني تطوع بالنهار وفيه في تهذيب الأحكام عن زرارة عن أبي عبد الله ﷺ حديث طويل وفيه بعد أن ذكر ﷺ ما جرت به السنة في الصلاة فقال أبو الخطاب: أفرأيت إن قوي فزاد؟ قال: فجلس وكان متكئاً فقال: إن قويت فصلها كما كانت =

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٣١) :

﴿عَيْنَيْكَ﴾ الظاهرتين، أو الظاهرة والباطنة استعظماً لـ ﴿مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ من أموال وبنين وسائر الحيوانات الحيوانية الدانية في هذه الدنيا، و﴿أَزْوَاجًا﴾ هي القرناء فروعاً وأصلاء، مهما شملت أزواج الزواج، فإنها لا تختصها حيث المتع لا تحصر فيهم مهما كانت متعة الجنس من أعلاها، ولكنها تعم عامة الذكور والإناث.

و﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هي الطالعة فيها كما تطلع زهرات النباتات، ولكنها سريعة الذبول والأفول، وكذلك زهرات الدنيا بأسرها إلا ما يتذرع بها إلى الأخرى.

وهذه الزهر والمتع ليست لهؤلاء الأنكاد إلا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فيما متعناهم به فليست لها بقاء، وحتى إذا بقيت طيلة الحياة فـ ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ إذ تخطى الأولى إلى البرزخ والأخرى ثم لا فناء.

وليس ذلك تحريماً لزينة الله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ...﴾ (١)؟ بل هو دعوة إلى التمسك والاعتزاز بالقيم الأصلية الباقية، فلا تتهاوى النفوس أمام المتعة والزهرة والشراء، وقد يروى عن رسول الهدى ﷺ: قوله: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا، قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله ﷺ؟ قال: بركات الأرض» (٢) وقد تُعزِّيه الآية عن فقره وغناهم (٣).

= تصلى وكما ليست في ساعة من النهار فليست في ساعة من الليل إن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ ءَانَآيَ أَلَيْلٍ فَنَجَّحَ﴾ [طه: ١٣٠].

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٢) الدر المنثور ٤: ٣١٣ - أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: . . . .

(٣) المصدر أخرج جماعة عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفاً ولم يكن عنده ما يصلحه =

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْتَكُ رِزْقًا نَحْنُ نَزَقْنَاكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّاقِي﴾ (١٣٢) :

ومهما كان الأمر بالصلاة يعم كافة المسلمين وعامة المكلفين ولكن ﴿أَهْلِكَ﴾ هم أحرى بذلك ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: الصلاة أن تقيمها وتأمُرْ أهلِكَ بها، وأن تقرب بها وتقرب إلى الله زلفى، فهناك اصطبار على إقام الصلاة لتكون كلها صلاة ومعراجاً إلى الأفق الأعلى، واصطباراً آخر على الأمر بها مهما كان فيه إمر.

وما أحرى علياً وفاطمة أهلاً للرسول ﷺ، لذلك تراه ﷺ لما نزلت كان يجيء إلى باب علي صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١) (٢) فقد «أمر الله نبيه أن يخص أهل بيته وأهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست لغيرهم من عامة الناس ثم أمرهم خاصة» (٣).

= فأرسلني إلى رجل من اليهود أن بعنا أو أسلفنا دقيقاً إلى هلال رجب فقال: لا إلا برهن فأتيته النبي ﷺ فأخبرته فقال: أما والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديته إليه اذهب بدرعي الحديد فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية... (١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) المصدر أخرج ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت...

(٣) نور الثقلين ٣: ٤٠٨ في عوالي اللآلي وروي عن الباقر ﷺ في قوله تعالى: وأمر أهلِكَ بالصلاة واصطبر عليها قال: ... وفيه في عيون الأخبار في باب ذكر مجلس الرضا ﷺ مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة قالت العلماء: هل فسر الله تعالى الاضطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا ﷺ: فسر الاضطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موضعاً... وأما الثاني عشر فقوله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [ظه: ١٣٢] فخصنا الله تعالى بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع الأمة بإقامة الصلاة ثم خصنا من دون الأمة فكان رسول الله ﷺ يجيء إلى باب علي وفاطمة ﷺ بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: الصلاة رحمكم الله، وما أكرم الله أحداً من ذراري=

ولا تحسبن أنا نسألك في الصلاة - أمراً وتطبيقاً - رزقاً وحظوة روحية لنا، كلاً ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ بل ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ بصلاتك وسواها من أرزاق روحية أما هيه، والحياة «العاقبة» التي تعقب هذه الدنيا ﴿لِلنَّاقِئِ﴾ وهي حياة الرجعة والبرزخ والقيامة فإنها من أيام الله، وهذه السفرة المثلثة لا زاد لها أفضل من التقوى: ﴿وَتَكَرَّزُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْلَمْ تأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٣٣):

فلأنهم تعودوا في ماضي الرسالات بالآيات البصرية، وآية هذه الرسالة الأخيرة بصيرة هي القرآن، لذلك ما كانوا يعتبرونه آية رسالية ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ والقرآن أفضل آية من ربه، ألم تأتهم هذه المفضلة الخالدة الناصعة ﴿أَوْلَمْ تأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ آيات بصرية تصدقها، وهم كانوا ناكريها؟ فهم لا يؤمنون بآيات الرسالات، سواء أكانت بينة ما في الصحف الأولى، أم بينة الصحيفة الأخرى.

ومن ﴿بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ البشارات التي تضمنتها بحق هذه الصحيفة الأخرى ورسولها<sup>(١)</sup>: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١٩) ﴿٢﴾ ومنها ما في كتاب اشعيا «كي بلعجي شافاه وبلا شون أحررت يدبر إل ها عام هده» (١١: ٢٨) لأنه بلهجة لكنا بشفاه أعجمية وبلسان غير لسانهم يكلم هذا الشعب» فإن كل لغة تعتبر غيرها أعجمية ومنها العبرانية، فالعربية بجنبها أعجمية لكنا، غير مفهومة للإنسان العبراني.

= الأنبياء ﷺ بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها وخصنا من دون جميع أهل بيته فقال المأمون والعلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن الأمة خيراً فما نجد الشرح والبيان فيما اشبه علينا إلا عندكم» أقول: تجد مجموعة هائلة من المسانيد حول القضية في تفسير آية التطهير فراجع.

(١) وقد أفردنا لسردها كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ١٨، ١٩.

ومنها القرآن نفسه فإنه آية بينة غير مدخولة من الصحف الأولى وكما يروى عن الإمام علي عليه السلام: «فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى وتصديق الذي بين يديه وتفصيل الحلال من ريب الحرام»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزَىٰ﴾<sup>(١٣٤)</sup>:

﴿قَبْلِهِ﴾ تعني قبل الرسول قضية الذكورة، وقبل القرآن البينة لمحة من ﴿آيَاتِكَ﴾ ولأن محمداً هو القرآن البينة والقرآن بينة محمد فالمعنيان معنيان، فلو كان المرجع فقط البينة فلتكن «من قبلها» أم فقط هو الرسول فكيف نتبع آياتك من دون القرآن؟.

وهذه الآية من براهين عدم الإهلاك واستحالتها في عدل الله قبل إتمام الحجة بشرعة إلهية، ولكنها لا تنفي عذاباً في الأخرى بتخلف عن حجة العقل والفطرة، إلا أن تنفيه أيضاً ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(٢)</sup> والتفصيل في تحصيل بالغ راجع إلى تفسير هذه الآية.

إذاً فبعد تمام الحجة وبالغ المحجّة والتخلف فالعذاب لا محالة واقع بعد الموت، وقد يحل قبله إذاً فاحش الظلم والطغيان ذكرى للظالمين، وحفاظاً على العالمين، فسحاً لهم بما يعملون لما يأملون، وكسحاً للظلم المدمر لمسرح التكليف: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿قُلْ كُلٌّ مَّرْتَبٌ فَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾<sup>(١٣٥)</sup>:

- (١) نور الثقلين: ٥ : ٥٥٨ ح ٢٢٨ مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام . . .  
 (٢) سورة الإسراء، الآية: ١٥ .  
 (٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥ .

﴿كُلُّ﴾ منا ﴿مُتَرَيِّصٌ﴾ عاقبة أمره حيث الإنسان أياً كان يعيش الأمل  
نتيجة العمل ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أنتم المعرضون عن ذكر الله عاقبة أمركم وأمرنا  
﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ غداً ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ وهم الدعاة إلى الله (١) ﴿وَمَنْ  
أَهْتَدَى﴾ بهم إلى الله، أهم أنتم المعرضون أم نحن المؤمنون؟! .



(١) نور الثقلين ٣: ٤١١ تفسير القمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: والله نحن السبيل الذي أمركم  
الله باتباعه ونحن والله الصراط المستقيم ونحن والله الذين أمر الله بطاعتهم فمن شاء فليأخذ  
هنا ومن شاء فليأخذ هناك لا تجدون والله عنا محيصاً .





سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

